أفريقيا..ساحة جديدة للتنافس النفطي بين واشنطن وبكين (1-2)

10-10-2005

ظهرت أفريقيا مؤخراً كواحدة من المناطق الأكثر جاذبية لكلا الدولتين، بما لديها من إمكانات نفطية ضخمة، حيث تمتلك القارة حوالي 8% من الاحتياطيات العالمية، ومعظم هذه الاحتياطيات (نحو 70%) يوجد في نيجيريا، وليبيا، وغينيا الاستوائية، كما أن انخفاض نسبة الكبريت في الخام المستخرج يضفي عليه أهمية إستراتيجية متزايدة، إضافة إلى ذلك فإن هذه الدول تعاني العديد من الأزمات الداخلية، التي تجعلها أكثر عرضة للاختراق من جانب القوى الكبرى،

بقلم عبدالله صالح

مع ارتفاع أسعار النفط العالمية وتخطيها حاجز السبعين دولارا للبرميل، اشتعلت المنافسة على مصادر الطاقة بين الدول الكبرى، وفي مقدمتها الولايات المتحدة والصين، اللتين تحتلان المركزين الأول والثاني على التوالي في استهلاك الطاقة على المستوى العالمي. أما عن أهم ساحات المنافسة بين واشنطن وبكين، فتشمل كلا من الشرق الأوسط، وآسيا الوسطى، إضافة إلى أمريكا اللاتينية، لكن أفريقيا ظهرت مؤخراً كواحدة من المناطق الأكثر جاذبية لكلا الدولتين، بما لديها من إمكانات نفطية ضخمة، حيث تمتلك القارة حوالي 8% من الاحتياطيات العالمية، ومعظم هذه الاحتياطيات (نحو 70%) يوجد في نيجيريا، وليبيا، وغينيا الاستوائية، كما أن انخفاض نسبة الكبريت في الخام المستخرج يضفي عليه أهمية إستراتيجية متزايدة، إضافة إلى ذلك فإن هذه الدول تعاني العديد من الأزمات الداخلية، التي تجعلها أكثر عرضة للاختراق من جانب القوى الكبرى، بسبب انتشار الفقر، والفساد، والصراعات القبلية، وعدم الاستقرار السياسي، ويكفي أن نشير إلى أنه في الوقت الذي تجاوزت إيرادات نيجيريا النفطية 300 بليون دولار على

مدى ربع القرن الماضي، فإن متوسط دخل الفرد بها لم يزد على دولار واحد يومياً.

تعتمد الولايات المتحدة على الأسواق الأفريقية في تلبية نحو 15% من احتياجاتها النفطية، مقارنة بنحو 22% من احتياجاتها تحصل عليها من الخليج العربي. وتعد نيجيريا أكبر خامس مصدر للنفط إلى الولايات المتحدة. كما قامت واشنطن مؤخراً بإقامة علاقات دبلوماسية وتجارية قوية مع ليبيا، في أعقاب رفع العقوبات الاقتصادية عنها في سبتمبر 2003، بعد أن أعلنت تخليها طواعية عن برنامجها النووي، وبدأت الشركات الأمريكية في إبرام عود الامتياز لاستكشاف النفط الليبي.

ومن جانب آخر، ومن أجل تأمين إمداداتها النفطية، عملت الولايات المتحدة على توطيد علاقاتها الاقتصادية مع الدول الأفريقية الغنية بثرواتها النفطية والتعدينية. وقد بلغ حجم التجارة بين الولايات المتحدة ودول القارة نحو خمسة بلايين دولار عام 2004، النسبة الأكبر منها مع نيجيريا، التي تعد ثاني أكبر دولة أفريقية بها استثمارات أمريكية بعد جنوب أفريقيا. ومنذ وقوع هجمات 11 سبتمبر 2001، قامت الولايات المتحدة بتعزيز تعاونها الأمني مع العديد من الدول الإفريقية، مثل غانا، وبنين، وغينيا الوسطى، وساحل العاج، كما أصبحت واشنطن تبدي اهتماماً أكبر بالقضايا الأمنية للقارة، وأوضاع حقوق الإنسان بدول القارة، وتقيم الخطوات التي قطعتها هذه الدول على طريق التحول الديمقراطي.

وعلى الجانب الآخر، فإن الصين تسعى منذ سنوات لتعزيز تعاونها مع دول القارة في العديد من المجالات، بما يضمن تأمين احتياجاتها النفطية المتزايدة، حيث تمثل وارداتها النفطية من

دول القارة نحو 25% من استهلاكها، ومن أبرز الدول الإفريقية التي تستورد منها النفط، الجزائر، وأنجولا، وتشاد، والسودان، كما أن الصين لها استثمارات نفطية كبيرة في نيجيريا والجابون وغينيا الاستوائية. وتكتسب العلاقات مع تشاد طابعاً خاصاً يؤكد أولوية المصالح الاقتصادية على المبادئ الإيديولوجية، مثل مبدأ "صين واحدة"، الذي تتمسك به بكين وتضعه معياراً حاكماً لعلاقاتها الدولية، ومع ذلك لا تتوانى عن التعاون النفطي مع تشاد، التي مازالت تحتفظ بعلاقات دبلوماسية مع تايوان.

وترتبط الصين بشراكة نفطية متميزة مع السودان، حيث حصلت مؤسسة النفط الوطنية الصينية على حق الاستكشاف النفطي في عدة مناطق هامة بالسودان عام 1995. وبعد ذلك بعامين، وعندما قطعت واشنطن علاقاتها مع السودان، أسرعت الصين على الفور لملأ الفراغ الذي تركته واشنطون، وعملت على توطيد علاقاتها النفطية مع الخرطوم، وأصبح أكثر من نصف صادرات السودان النفطية يذهب إلى الصين.

كما تمكنت مؤسسة النفط الصينية من شراء 40 % من أسهم شركة النيل الأعظم النفطية في السودان، والتي تضخ 300 ألف برميل يومياً. كما قامت شركة "سينوبك" الصينية بإنشاء خط أنابيب بطول 1500 كيلومتر لنقل الإنتاج النفطي إلى ميناء بورسودان على البحر الأحمر، ومنه إلى ناقلات البترول المتجهة للصين.

كما هو الحال مع الولايات المتحدة، فإن علاقات الصين مع دول القارة الإفريقية متعددة الجوانب، سياسية، واقتصادية، وعسكرية، وهذه العلاقات يتم توظيفها لخدمة المصالح النفطية الصينية، حيث تقوم الصين بالحصول على النفط، مقابل تزويد

هذه الدول بالسلاح، والمنتجات الكهربائية والإليكترونية، فضلاً عن مشاركتها في مشروعات البنية الأساسية بعدد من دول القارة.ولا يجب أن ننسى أن علاقات الصين السياسية بالقارة الأفريقية قديمة، حيث ساندت بكين العديد من الدول في صراعها ضد الاستعمار، كما دعمت الكثير من حركات التحرر الأفريقية.

لقد تحولت علاقات الصين مع أفريقيا من الارتكاز على العوامل الأيديولوجية ومساندة النظم الشيوعية وحركات المقاومة الماركسية، إلى إقامة علاقات أكثر براجماتية، قائمة على المصالح المتبادلة، والمنافع المتبادلة. وربما كان العنصر الأيديولوجي الوحيد الذي ظل قائماً في علاقات الصين بدول القارة، هو مبدأ "صين واحدة"، رغم وجود استثناءات لذلك، مثلما يبدو في تزايد التعاون النفطي مع تشاد، التي لازالت تحتفظ بعلاقات دبلوماسية مع تايوان.

الصين لها جاذبية خاصة لدى الأفارقة بسبب سياستها غير التدخلية، والتي تختلف عن السياسة الغربية والأمريكية، التي تفرض على دول القارة معايير خاصة بالديمقراطية وحقوق الإنسان، تبرر لها التدخل في شئونها الداخلية، فضلاً عما قامت به الصين على مدى عقود من تنفيذ العديد من المشروعات الناجحة للبنية الأساسية في دول القارة، وتزويد الكثير من الدول باحتياجاتها من الخبرات الفنية والمهنية، واهتمامها بدعم التعاون الثقافي وتبادل البعثات معها، فضلاً عن تشجيعها لرجال الأعمال الصينيين على الاستثمار في الأسواق الأفريقية.

للعودة للأعلى